



كلمة أبناء الطريقة السمانية في الذكرى السنوية لمشايخ الطريقة 1436هـ

ألقاها الأخ : عز الدين علي عمر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. سادتي الحضور المكريم ...

باسم مولاي وسيدي الشيخ محمد المرشد العام للطريقة السمانية المطيبيه القريبية الحسنية ، اسبحوا لي أن أرفع أسمى آيات الترحيب بمقاماتكم السامية ، كل باسمه ورسمه وصالح وسمه ، وأنتم تشاركوننا هذه المناسبة الكريمة ، الحولية السمانية ، مناسبة عظيمة وعزيزة على قلوبنا ونحن نحتفل بأهل الله المذنبين أرسوا دعائم الدين والاخلاق في هذا المجتمع الكريم. إن احتفالنا بهؤلاء الأئمة الأجداء إنما هو احتفاء بالدين ، عبر استذكار مجاهداتهم ومساهماتهم العظيمة وتضحياتهم الجليلة وسيرتهم العطرة في سبيل نصرة الدين والوطن ، ونحن إذا تأملنا في القرآن الكريم نجد حافلاً بقصص الأنبياء والمصلحين وما قاموا به من جليل الأعمال في سبيل نشر وترسيخ منهج الرحمن ، فنستأنس بها ونقتدي بسيرتهم ونعتبر بتاريخهم وسيرتهم.

الحضور المبارك ...

تأتي هذه المناسبة الجليلة لهذا العام تحت شعار: (التصوف إفاضة روحية وإفاضة علمية) باعتبار أن الإفاضة الروحية والإفاضة العلمية هما من أهم المقاصد السامية لديننا الحنيف وقد حمل لواءهما السادة الصوفية وبهما يتم غذاء الروح وتنمية العقل* إن الله سبحانه وتعالى شرف الإنسان بالخلافة على الأرض، فأصبح الكائن الوحيد المتميز بهذا الشرف من بين كل كائنات الكون ، وما كان سيدنا آدم عليه السلام سوى المثل الأول بوصفه الإنسان الأول الذي تسلم هذه الخلافة، وحظي بهذا الشرف الرباني فسجدت له الملائكة ودانت له قوى الأرض. وكما تحدث القرآن الكريم عن عملية الاستخلاف من جانب الله تعالى، كذلك تحدث عن تحمّل الإنسان لأعباء هذه الخلافة بوصفها أمانة عظيمة ينوء الكون كله بحملها: **قَالَ اللَّهُ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ الْعَزِيزِ: «إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ لَكَانَ ظَالِمًا جَهُولًا»** حينما وضع الإسلام مبدأ خلافة الإنسان على الأرض لم يضعها مجردة من أهدافها المصلحة، بل وضع تصوراً وقيماً لهذه الأهداف ، من أجل هذه الأهداف عمارة الأرض «هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها» وأرسل تبارك وتعالى الأنبياء وبعث المرسل الكرام عليهم السلام ليكونوا لنا نماذج حية نهتدي ونقتدي بها في كيفية عمارتنا للأرض ، حتى جاء خاتمهم نبينا ورسولنا صلى الله عليه وسلم ليحسد للبشرية جمعاء نموذجاً فريداً للإعمار والإصلاح والمصلح ، وليبين القرآن الكريم أن أكبر مهدهم لمامة الإنسان في هذا الكون هو الإفساد في الأرض إذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحارث والرسول والملة لا يحب الفساد من أجل هذا بدأ صلى الله عليه وسلم بإعمار أهم كائن في الكون والذي لا شك أنه أكبر مؤثر في ما حوله من كائنات ألى وهو الإنسان، فاهتم بإعمار نفس الإنسان أولاً، وتزكية إيمانه قبل كل شيء وتعزيز روح التضحية والجهاد في النفس الإنسانية حتى تسمو إلى عوالم الابدان ، فالإعمار المعنوي للنفس هو الأساس الذي يبني عليه إعمار الأرض ولما يمكن أن تؤسس لحضارة إنسانية وارفعة الظلال لما بإعمار وتزكية الجانب الخلقى والإنساني فيها. لقد أهملت كثير من المناهج الإسلامية هذا الجانب ، وطفقت تلهث وراء مناهج أخرى شرقية وغربية فكان عاقبة أمرها خسرًا، وبقي التصوف هو المنهج الوارث لمنهج النبوة الرباني القائم على تزكية النفوس وتطهيرها من أدرانها ،

* الأحبة في الله إن التربية الصوفية باعتمادها على المنهج القرآني والسلك النبوي يقول تعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ ويقول المعصوم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه سلم في حديث البخاري (**أَلَا وَإِن فِي الْأَرْضِ لَفَسَادٌ وَإِذَا فُسِدَتِ الْأَرْضُ فَسَدَ الْجَسَدُ كَلَهُ. أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ وَمِنْ نَتَائِجِ فَسَادِ الْقَلْبِ أَنْ يَسْعَى الْجَسَدُ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ، يَقْتُلُ وَيَذِيقُ وَيُرَوِّعُ الدَّاعِيَيْنَ ..** إن التربية الصوفية تفتح للقلب آفاق التزكية والرقي في مدارج المعرفة والسلوك، فيتحقق الإنسان بالإخلاص والاستقامة ، ويراقب ربه ويحاسب نفسه. وبهذا يصبح صالحاً لنفسه ولغيره، فاعلاً في مجتمعه وفي عصره، وفعالاً في عطاءه وإنتاجه، وأمناً مطمئناً، وأميناً مؤتمناً، وسليماً مسالماً. إن تربية بهذه الخصائص والمركبات تكون قميئة بضمآن تربية واقية من هذا النزيف الحضاري الذي تعاني منه الإنسانية، وقادرة على تحقيق الأمن الروحي الذي يملك من تبيد وتلاشي المصراع المفتل، وكفيلة بتصحيح الاختلالات وتحقيق التوازن النفسي والتكامل العقلي والقلبي والتوافق المادي والروحي. تلك إذن هي مرامي التربية الصوفية التي توافق متطلبات الأمن الحضاري وتحقيق الأمن الروحي. أيها الأحباب ومثلما اهتم التصوف بالجانب الروحي للدين كذلك لم يهمل الجانب العلمي بل أولاه اهتماماً متعظماً لأن التصوف في أساسه يقوم على هذين الجانبين المهمين ، الجانب الروحي

والمجانب العملي ، فالصوفية هم أهل العلم الشرعي القائم على ما جاء به الكتاب والسنة بالأسانيد الصحيحة المعنونة ، والتراث العلمي الإسلامي شاهد على ذلك عبر مؤلفاتهم العظيمة التي أثروا بها المكتبة الإسلامية من مراجع وكتب ، بل أن كثيراً من الأسانيد العلمية لا يتسنى الاتصال بسلسلتها الصحيحة إلا عن طريق أئمة الصوفية الجهابذة. لقد بذل الصوفية جهوداً عظيمة في سبيل نشر العلم في شتى البقاع الإسلامية ، فعم ذورهم وفضيهم الروحي على السواء ، وهاهي قلاع القرآن الكريم من خلاوى ومعاهد ومراكز تقف شاهدة على هذا الجهد المبارك الذي قام خالصاً لله تعالى بلا من ولا أذى دون ضجيج ولا صخب في سبيل نشر القرآن الكريم وتحفيظه وتجويده وتفسيره والحث على العمل بما جاء فيه ، هذا إضافة إلى الحلقات العلمية المنتظمة والمنتشرة في سائر الأقطار والمعاهد والمراكز التي تدرس كافة العلوم الشرعية فتخرج طلاباً مؤهلين روحياً وعلمياً لينخرطوا في ميدان الدعوة إلى الله على هدى وبصيرة ، وهذه المؤسسات قد خرجت بحمد الله علماء أفاضل أثروا المساحة العلمية ووضعوا بصماتهم فيها بل نستطيع القول إن التراث العلمي الموجود في بلادنا هذه هو موروث صوفي خالص أصلاً وفضلاً ، وما معهد أم درمان العلمي إلا خير شاهد ومثال لهذه الجهود الطيبة والتي كانت من ثمار الجهد التعليمي الأهلي الصوفي ، وما رُزئت الأمة في دينها وعلمها إلا بعد إيقاف هذه المؤسسة الرائدة ، نسأل الله تعالى أن يعيده إلى سيرته الأولى.

الجمع المبارك ...

لقد أسهم الصوفية عبر إفاضاتهم الروحية وإضافاتهم العلمية في نشأة هذا البلد الحبيب وتكوينه من كافة جوانبه الدينية والثقافية والاجتماعية والسياسية والتاريخية والجغرافية ، وإذا نظرنا إلى المآخرة نجد أن تكوين السودان الجغرافي هو تكوين صوفي خالص عبر مدنه وقراه وأحيائه والتي أنشأها مشايخ الصوفية نشأة دينية علمية ، نشأة أساسها خلوة ومسجد ومسجد ثم تطورت حتى صارت مدناً كونت هذا السودان الحبيب ، ثم تطور هذا التأثير ليشمل التكوين الوجداني للشعب السوداني حيث نجد مكونه الوجداني هو مكون ثلاثي - كما نعلم - عبر العقيدة الأشعرية عقيدة أهل السنة والجماعة والمذهب المالكي كمذهب للعبادة والمعاملات ومنهج التصوف الجندي في السلوك والتربية والأخلاق ، فتشبع المجتمع السوداني بهذه القيم والفضائل وهي لعمرى قيم كفيلة بتشكيل إنساني سوي متوازن متصالح مع نفسه ومجتمعها إن أحسن التمسك بها ، ومن خلال هذه القيم صنع مجتمعاً سليماً معافى من كل الأمراض والعقد الاجتماعية ، وما أصيب مجتمعنا بهذه الأمراض الاجتماعية الخبيثة إلا عندما أهملنا التمسك بقيم التصوف والذي هو أعظم ترويق لكل هذه المعضلات الاجتماعية والأخلاقية فهو المنهج الأمثل للحياة.

إن التصوف كفيل بتحسين الفرد ضد العنصرية البغيضة والمقبولية المنفرة والأفكار المتطرفة ، لأنه وعبر مؤسسة المسيد هذه المؤسسة الاجتماعية الرائدة فإن كل هذه العناصر المتنافرة تتألف وتتحاب وتتكتف فيما بينها في نسيج اجتماعي فريد لن نجد له إلا في مؤسسة المسيد ، فمؤسسة المسيد جمعت في حضنها كل القبائل والأعراف والتوجهات الفكرية والأمزجة المتعددة فتأصهرت جميعها في بوتقة واحدة هي بوتقة التصوف القائم على المحبة والتسامح والودام وقبول الآخر بكل علله ، بل لم يقتصر المسيد على المسلمين فقط بل شملت بركاته ونفحاته حتى غير المسلمين في أريحية ومحبة وتسامح راقٍ ، إن أمر التواصل مع غير المسلمين واستقبالهم والحوار معهم فهو أمر من صميم الدين ، ولعمرى إنه أمر لا يقدم عليه إلا من له ثقة في نفسه ورسوخ في دينه وينظر بنور الله ، والمطلع على السيرة النبوية المطهرة يدرك تماماً كيف كان النبي صلى الله عليه وسلم يستقبل غير المسلمين بمسجده الشريف ويحاورهم ويشرح لهم الإسلام وقيمه فيدخلون في دين الله أفواجاً . أحبتي الأكارم ...

إن المهددات التي تحددق بأمتنا كبيرة وكثيرة ، وأعداؤها يتربصون بنا كل متربص يستغلون كل ثغرة ليلجوا عبرها إلينا ، وما يحدث اليوم من جرائم التطرف الديني مثال شاهد على ذلك ، حيث استغل أعداؤنا ضعف المكون العلمي لبعض صبياننا وخواءهم الفكري والروحي فلوثوا عقولهم بسموم التطرف التي لا تمت إلى ديننا الحنيف بصلة ، فخرجوا على أمتهم بالسلاح وكفروا من يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وأباحوا الدماء وقتلوا وذبحوا باسم الدين والدين منهم براء ، معيدين ما قام به الخوارج قديماً من جرائم لا إنسانية .

الجمع الكريم ...

لابد لنا من وقفة جادة حتى نفيق من هذه الغفلة ، لابد من تنادي العقلاء والحكماء من أمتنا من أجل مواجهة هذه التحديات ، لابد من إعادة الأمور إلى نصابها الصحيح ولما يكون ذلك إلما بتمكين منهج المتصوف في حياتنا ، وإصلاح مناهج التعليم لتخدم هذا المنهج النبوي الربياني [وضوح المجال له في وسائل الإعلام وآلياته]حتى يتسنى لنا إصلاح ما حدث من خراب وفساد اجتماعي ، لقد جريت الأمة كافة الأنظمة الاجتماعية والمناهج الفكرية فأورثتها خراباً وخساراً إلما منهج المتصوف السامي ، فما كان الفلاح إلما فيه وما كان النجاح والسلامة إلما عبره ، لأنه منهج يربي الفرد على القيم الفاضلة ويجعله رقيباً على نفسه ، منهج يربي الفرد على التواضع والمزهد ومحبة الآخرين وقبولهم والتعايش معهم ، منهج يربي الفرد على الإيثار وعدم التهاافت على السلطة والتقاتل عليها ، منهج يربي الفرد على الصدق والأمانة والإخلاص في العمل ، ،

لذلك سادتي الأفاضل هي دعوة لأن نقف مع أنفسنا قليلاً رعاة ورعية كي نعيد الأمور إلى نصابها ، ، هي دعوة للتعاون والوقوف صفاً واحداً ، دعوة للتكاتف والتعااضد والتحابب ، فالموطن إنما يبني بسواعد جميع بنيه المخلصين ، والدين إنما يقوم بتعاون كافة المسلمين.

وفضنا الله وإياكم لما فيه الخير والسداد

وكل عام وأنتم بخير والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته